﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لا عظمةَ بحضرةِ الشّارِعِ

لمّا نهى الله ﷻ عن التَّقديمِ المنبئِ عن كونِهم جاعلينَ لأنفسِهم عندَ الله ورسوله بالنِّسبةِ إليهما وزنًا ومقدارًا، ومدخلًا في أمرٍ من أوامرِهما ونواهيهما؛ نهَى عن قولٍ يُنبئُ عن ذلكَ؛ لأنَّ مَن يرفعُ صوتَهُ عندَ غيرِه يجعلُ لنفسه اعتبارًا وعظمةً[1].

خفْضُ الصَّوتِ عندَ تلقّي أوامرِ الشَّرعِ ونواهيهِ

ولمّا ثبتَ إعظامُ الرَّسولِ ﷺ بعدمِ التَّقدُّمِ في الأمورِ بينَ يديهِ، فلا يُكلَّمُ إلّا جوابًا أو سؤالًا في أمرٍ ضروريٍّ لا يمكنُ تأخيرُهُ، وكانَ مَن يُكلِّمُهُ لذلكَ ربَّما رفعَ صوتَهُ، وكانَ رفْعُ الصَّوتِ مِنَ المشوِّشاتِ في حُسْنِ التَّلقّي للوحي، معَ ما فيهِ مِن قلَّةِ الاحترامِ والإخلالِ بالإجلالِ؛ نُهيَ عنهُ[2].

في النَّهيِ نوعُ تفصيلٍ لما قبله

والآيةُ شُروعٌ في النَّهيِ عن التَّجاوزِ، في كيفيَّةِ القولِ عندَ النَّبيِّ ﷺ بعدَ النَّهيِ عن التَّجاوزِ في نفسِ القولِ والفعلِ[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ﴾: أصلُ (رفع) يدلُّ على خلافِ الوضعِ[4]، والرَّفعُ يقالُ تارةً في الأجسامِ الموضوعةِ؛ إذا أعليتَها عن مقرِّها، نحو: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 93]، وتارةً في البناءِ؛ إذا طوَّلتَهُ، نحو قوله: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [البقرة: 127]، وتارةً

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 92.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 355.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 116، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 287.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رفع).

في الذِّكرِ؛ إذا نوَّهتَهُ، نحو قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: 4]، وتارةً في المنزلةِ؛ إذا شرَّفتَها[1]، نحو قوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾[يوسف: 76]، والرَّفْعُ هنا معناه: جَهْرُ الصَّوْتِ مُتجاوزًا لمُعتادِ الكلامِ، والمرادُ بعدمِ رفعِ الصَّوتِ: خفضُهُ[2]، والقَصْدُ منه بيان الأدبِ مع النَّبي ﷺ[3].

2) ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ﴾: أصلُ (جهر) يدلُّ على إعلانِ الشَّيءِ وكشفه وعُلوّه[4]، ومِن ذلكَ يقالُ: جاهرتُهم بالأمرِ، أي: عالنتُهم[5]، ورأيتُهُ جهرةً، أي: عيانًا[6]، ورجلٌ جهيرٌ، أي: رفيعُ الصَّوتِ[7]، والجَهْرَةُ: ما ظَهَرَ، ورآهُ جَهْرَةً: لم يكُن بينهما سِترٌ؛ ورأيته جَهْرَةً وكلمتُه جَهْرَةً[8]، والجَهْر في الآية معناه: قوَّةُ صَوْتِ النّاطق بالكلامِ[9]، والمرادُ: تعمَّدوا في مخاطبته القولَ اللَّيِّنَ، القريبَ مِنَ الهمسِ الَّذي يضادُّ الجهرَ، كما تكونُ مخاطبةُ المَهيبِ المُعظَّمِ[10].

3) ﴿أَن تَحۡبَطَ﴾: أصلُ (حبط) يدلُّ على بُطلانٍ أو ألمٍ[11]، ومن ذلك: الحَبَطُ، وهو آثارُ الجُرْحِ أوِ السّياطِ بالبَدَنِ، ويقالُ: حَبِطَ عملُهُ؛ إذا بطلَ[12] وفسَدَ، قال الأزهري: ولا أرى حَبْطَ العَمَلَ وبُطْلانَه مأخوذًا إلّا من حبَط البَطْن؛ لأنَّ صاحب الحَبط يَهْلِك، وكذلك عَمَل المُنافق والمُشْرِك يَحْبط[13]، والحَبْطُ - بِسُكونِ الموَحَّدَةِ - والحُبوطُ: في الآية معناه: إفساد العمل بعد تقرُّره، والمُرادُ به: ضياعُ ثواب الأعمال وما يترقَّبه العاملُ من الجزاء عليها والفوز بها[14].

(1) الراغب، المفردات: (رفع).
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 517.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 218، و219.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جهر).
(5) الخليل، العين: (جهر).
(6) الزمخشري، أساس البلاغة: (جهر).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 238.
(8) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، لسان العرب: (جهر).
(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 238.
(10) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 517.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حبط).
(12) الزبيدي، تاج العروس: (حبط).
(13) الأزهري، تهذيب اللغة: (حبط).
(14) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 145، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/ 125.

4) ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾: أصلُ (شعر) يدلُّ على علم[1]، ومِن ذلكَ يقالُ: شعرتُ بكذا، أي: علمتُ عِلْمًا في الدِّقَّةِ كإصابةِ الشَّعَرِ، وسُمِّيَ الشّاعرُ شاعرًا لفِطْنته ودِقَّةِ معرفته[2]، وأشعرتُهُ، فشَعَرَ، أي: أدريتُهُ، فدرَى[3]، والشُّعور: العِلْم الحاصل بالحواس، ومنه مشاعر الإنسان أي: حواسه[4]، ومراد به هنا: نفي العِلْم بِحُصولِ الشَّيءِ الحاصِلِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّأدُّبُ في الكلامِ مـعَ النَّـبيِّ ﷺ أوجبُ الواجباتِ

يخاطبُ اللّه تعالى عبادَهُ المؤمنينَ مؤدِّبًا إيّاهم بأدبٍ جديدٍ في التَّعاملِ معَ النَّبيِّ ﷺ، ما معناه: يا أيُّها الَّذينَ صدَّقوا اللّه ورسوله، لا ترفعوا أصواتَكم بحضرةِ رسولِ اللّه ﷺ حين تتحدَّثونَ، ولا ترفعوها فوقَ صوته، ولا تُخاطِبوهُ بغلظةٍ، بل بسكينةٍ ووقارٍ وتعظيم، ولا تُنادوهُ باسمه، كما يُنادي بعضُكم بعضًا؛ خشيةَ أن تُبْطلَ أعمالُكم، ويذهبَ ثوابُها، وأنتم لا تعلمونَ، ولا تدرونَ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ تكريرِ النِّداءِ:

العنايةُ بأحكامِ الأدبِ معَ النَّبيِّ ﷺ

إعادةُ النِّداءِ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ استدعاءٌ منهم لتجديدِ الاستبصارِ عندَ كلِّ خطابٍ واردٍ، وتطريةُ الإنصاتِ لكلِّ حُكمٍ نازلٍ، وتحريكٌ منهم لئلّا يفتروا، ويغفُلوا عن تأمُّلهم، وما أُخِذوا بهِ عندَ حضورِ مجلسِ رسولِ اللّه ﷺ مِنَ الأدبِ الَّذي المحافظةُ عليهِ تعودُ عليهم بعظيمِ الجدوى في دينِهم؛ وذلكَ لأنَّ في إعظامِ مُبَلِّغِ الشَّرعِ إعظامَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شعر).
(2) المفردات، والرّاغب: (شعر).
(3) الجوهري، الصحاح: (شعر).
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 1/ 56.
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 277، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 365.

ما وردَ به[1]، وفي التَّكرارِ أيضًا زيادةُ شفقةٍ على المؤمنينَ؛ لأنَّ النِّداءَ لتنبيهِ المنادَى؛ ليُقبِلَ على استماعِ الكلامِ، ويجعلَ باله منهُ، فإعادتُهُ تفيدُ ذلكَ[2].

بلاغةُ النِّداءِ بوصفِ الإيمانِ:

المؤمنونَ أهلُ يقظةٍ لِما يطلبُهُ الشّارعُ منهم

جيءَ بوصفِ الإيمانِ في النِّداءِ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ إيذانًا بالتَّنبيهِ على ما غفلوا عنهُ، وأنَّ الإيمانَ هو الَّذي يقتضي ذلكَ[3]، وللتَّنبيهِ على أنَّ شأنَهم الانقيادُ، ففيهِ تنشيطٌ لهُم[4]، وأنَّ إتيانَ المنهيِّ عنهُ يُنْقِص الإيمانَ، ويَضُرُّه.

بلاغةُ المُضيِّ في ﴿ءَامَنُواْ﴾:

مَن رَسَخَ إيمانُهُ؛ عظُمَت كرامتُهُ وتكاليفُهُ

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ اتِّصافَهم بالإيمانِ أمرٌ قد تحقَّقَ، وثبتَ، وهم راسخونَ في الإيمانِ، ولذلكَ استحقّوا شرفَ الخطابِ والتَّكليفِ.

دلالةُ النَّهيِ في ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ﴾:

حرمةُ مجانبةِ الأدبِ في مخاطبةِ النَّبيِّ ﷺ

النَّهيُ في قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ للتَّحريمِ، وليسَ الغرضُ من رفعِ الصَّوتِ ولا الجهرِ ما يُقصَدُ بهِ الاستخفافُ والاستهانةُ؛ لأنَّ ذلكَ كفرٌ، والمخاطَبونَ مؤمنونَ، وإنَّما الغرضُ صوتٌ غيرُ مناسبٍ لِما يُهابُ بهِ العُظَماءُ، ويوقَّرُ الكُبَراءُ، ولا يتناولُ النَّهيُ أيضًا رفْعَ الصَّوتِ، الَّذي لا يتأذَّى بهِ رسولُ اللّه ﷺ، وهو ما كانَ منهم في حربٍ، أو مجادلةِ معاندٍ، أو إرهابِ عدوٍّ، أو ما أشبهَ ذلكَ[5].

---

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 351.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 92.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 432، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 105.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 106.
(5) الزمخشري، الكشاف: 4/ 352.

دلالةُ المضارعة في ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ﴾:

وجـوبُ الامتناعِ عن رفْعِ الصَّوتِ على الاستمرارِ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ المجزومِ في قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ المطلوبَ هو الامتناعُ عن رفعِ الصَّوتِ على الاستمرارِ والتَّجدُّدِ، ففيه ذمٌّ لِما كان، وتحذيرٌ لِما قد يكون، واستحضارٌ لصورة ما قد كان؛ تفظيعًا له وإبلاغًا في التَّرهيبِ مِن مِثْلِه.

بلاغةُ الاستعارةِ في الرَّفعِ:

الـرَّفـعُ مستعارٌ لجهرِ الـصَّـوتِ وفي الرَّفْعِ إشعارٌ بالاستعلاءِ أو النِّدِّيَّةِ

الرَّفعُ في قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ مستعارٌ لجهرِ الصَّوتِ جهرًا مُتجاوزًا لمعتادِ الكلامِ، شُبِّهَ جهرُ الصَّوتِ بإعلاءِ الجسمِ في أنَّهُ أشدُّ بلوغًا إلى الأسماعِ، كما أنَّ إعلاءَ الجسمِ أوضحُ لهُ في الإبصارِ، على طريقةِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ، أو شُبِّه الكلامُ المُعبَّرُ عنه بالأصْواتِ بشيءٍ يُلْقَى مِن مكانٍ مرتفعٍ، ورُمِز إلى المشبَّه به المحذوفِ بشيءٍ مِن لوازمه، وهو الرَّفْعُ، على طريقة الاستعارة المكنيَّةِ، وإثباتُ اللّازمِ للمشبَّه - الَّذي هو الأصواتُ - استعارةٌ تخييليَّةٌ[1].

دلالةُ الإضافةِ في ﴿أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾:

المسؤوليَّةُ لازمةٌ لمَن رفعَ صوتَهُ

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ لاميَّةٌ، والمعنى: (أصواتًا لكم)، فَتُفيدُ تأكيدَ نسبةِ الأصواتِ إلى أصحابِها، فإذا وقعتِ المخالفةُ برفعِ الصَّوتِ؛ فالمسؤوليَّةُ لازمةٌ لهُم، وهذا يشير إلى إلحاق الذَّمِّ بذواتهم؛ إبلاغًا في تنفيرهم مِن ذلكَ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفوقيَّةِ:

الفوقيَّةُ ترشيحٌ للاستعارةِ

التَّعبيرُ بالفوقيَّةِ في قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، ترشيحٌ للاستعارةِ في قوله: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ﴾، فهو (فوق) مجازيٌّ أيضًا[2]؛ لأنَّهُ يكونُ في الأجسامِ حقيقةً.

(1) لابن عاشور كلام قريب، يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 219.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 220.

بلاغةُ موقعِ قولِه: ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾:

موقعُ قوله تعالى: ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ موقعُ الحالِ مِن قوله: ﴿أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾، أي: متجاوزةً صوتَ النَّبيِّ ﷺ، أي: متجاوزةً المعتادَ في جهرِ الأصواتِ، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يتكلَّمُ بجهرٍ معتادٍ[1]، وفي نظمِ هذا المعنى حالًا إشارةٌ إلى عِلْمِهم بحالِ صوتِه ﷺ، فلا عُذْرَ لهم في رفع أصواتهم عليه.

حرمةُ مجاوزةِ المعتادِ في جهرِ الأصواتِ

سِرُّ القيدِ في قولِه: ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾:

قولُه تعالى: ﴿فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قيدٌ؛ لكونه حالًا، ولا مفهومَ لهذا الظَّرفِ؛ لأنَّهُ خارجٌ مخرجَ الغالبِ؛ إذ ليس المرادُ أنَّهُ إذا رفعَ النَّبيُّ ﷺ صوتَهُ، فارفعوا أصواتَكم بمقدارِ رفعه[2]، ولعلَّ فيه تنبيهًا على أنَّ صوتَ رسولِ اللهِ هو الَّذي ينبغي أن يكونَ عاليًا مهيمنًا على ما دونه مِن الأصوات؛ لأنَّه أشرفُ الخلْقِ، المُبَلِّغُ عن شَرْعِ ربِّه ﷻ.

الرَّسولُ القائدُ هو الَّذي يعلو صوتُه، ولا يُعْلَى عليه

غرضُ الإضافةِ في قولِه: ﴿صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾:

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ هذا الصَّوتِ، والتَّنبيهِ على حرمته، فهو صوتٌ لا كالأصواتِ، هو صوتُ النَّبيِّ المبعوثِ بالحقِّ، وهذا يُرشِّحُ ما سبَق ذكرُه مِن سِرِّ القيدِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالنُّبوَّةِ:

عُبِّرَ بالنَّبيِّ في قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ لأنَّهُ أليقُ بمقامِ التَّبجيلِ والتَّعظيمِ، وفيهِ مناسبةٌ لِما قيلَ: إنَّ النَّبيَّ مشتقٌّ مِنَ النَّباوةِ، وهو الشَّيءُ المرتفعُ[3].

بلاغةُ عطفِ ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ﴾:

يحتملُ أن يكونَ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ تكرارًا

احتمالُ الجملةِ التَّأكيدَ والتَّأسيسَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 220.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 220.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 444.

للنَّهيِ الأوَّلِ لأجلِ التَّأكيدِ، فإنَّ الجهرَ هو رفعُ الصَّوتِ، ويَحتملُ أن يكونَ بينَ النَّهيينِ فرقٌ، وهو أنَّ الأوَّلَ فيما إذا نطقَ، ونطقوا، أو أنصتَ، ونطقوا في أثناءِ كلامه، فنُهوا أن يكونَ جهرُهم كبيرًا، والثّاني فيما إذا سكتَ، ونطقوا، فنُهوا عن جهرٍ مقيَّدٍ بما اعتادوهُ فيما بينَهم، وهو الخالي عن مراعاةِ أُبَّهةِ النُّبوَّةِ، أو يقالُ: النَّهيُ الأوَّلُ أعمُّ ممّا إذا نطقَ، ونطقوا، أو أنصتَ، ونطقوا، والمرادُ بالنَّهيِ الثّاني ألّا يُنادَى وقتَ الخطابِ باسمه أو كنيته، كنداءِ بعضِهم لبعضٍ، فلا يقالُ: يا أحمدُ، يا محمَّدُ، يا أبا القاسم، ولكن يقالُ: يا نبيَّ اللّه، يا رسولَ اللّه[1]، أو يقالُ: الأوَّلُ فيما إذا خاطبَ بعضُهم بعضًا، والثّاني عندَ خطابِهم الرَّسولَ ﷺ[2].

دلالةُ النَّهيِ في ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ﴾:

حُـرْمـةُ رفْـعِ الـصَّـوتِ عـندَ نداءِ النَّبيِّ ﷺ

النَّهيُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ للتَّحريم، وفي هذا النَّهيِ ما يشملُ صنيعَ الَّذينَ نادوا النَّبيَّ ﷺ من وراءِ الحجراتِ، فيكونُ تخلُّصًا منَ المقدِّمةِ إلى الغرضِ المقصودِ، وبه يَظهَرُ حُسنُ مَوقِعِ قَوله بَعدَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3].

دلالةُ المضارعة في ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ﴾:

وجـوبُ تـوقـيرِ الـنَّـبـيِّ ﷺ في جميعِ الأوقاتِ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قوله جَلَّ من قائلٍ: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ عدمَ الجهرِ مطلوبٌ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، وفيه استحضارٌ لِما وقَعَ من بعضِهم بقرينة سببِ النُّزول؛ تَصَوُّرًا لِفعلهم كأنَّه واقِعٌ لهم عيانًا؛ إبلاغًا في ترهيبِهم وتنفيرِهم منه.

معنى اللّامِ، ودلالة التَّعبير بها:

الجـهـرُ المـنـهـيُّ عـنـهُ مـتـعـلِّـقٌ بمخاطَبته ﷺ

اللّامُ في ﴿لَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ﴾؛ لتعديةِ الفعلِ

(1) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 157.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 220.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 221.

لِما بعده؛ لأنَّ ﴿تَجْهَرُواْ﴾ في معنى (تقولوا)، فدلَّتِ اللّامُ على أنَّ هذا الجهرَ يتعلَّقُ بمخاطبته ﷺ، وزادَهُ وضوحًا التَّشبيهُ في قوله: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[1]، ومعنى الاختصاصِ لا يُفارق اللّام؛ فيدلُّ على خصوصيَّته ﷺ؛ تناسُبًا مع مقام تعظيمه.

معنى الباءِ، ودلالةُ التَّعبير بها: في ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾:

الجهرُ متعلِّقٌ بالقولِ

الباءُ في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ للتَّعديةِ، والإلصاقُ هو الأصلُ في معنى الباءِ، فلا يُفارقها، فيدلُّ على أنَّ التصاقَ القولِ بألسنتهم جريمةٌ مُرْتكَبةٌ في حقِّه ﷺ وأنَّ المنهيَّ عنه كأنَّه مُتعمَّدٌ؛ إبلاغًا في الذَّمِّ والتَّرهيب.

دلالةُ تعريفِ القولِ:

وجوبُ مراعاةِ المؤمنينَ الأدبَ في كلامِهم معَ النَّبيِّ

تعريفُ القولِ في قوله جلَّ ذِكرُه: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ؛ إذ المرادُ بهِ قولُهم الَّذي يقولونَهُ في مخاطبته ﷺ، أو للجنس المقتضي عموم الأقوال، وهو مناسبٌ لمقام التَّأديب والتَّعظيم، وفيه أنَّ أيَّ قولٍ يُقال له بالجهر المنهيِّ عنه مُراقَبٌ معلومٌ؛ إبلاغًا في التَّهديد والتَّرهيبِ.

معنى الكافِ، ودلالة التَّعبير بها:

وجوبُ ملاءمةِ الخطابِ لجلالةِ قدرِ النُّبوَّةِ

الكافُ في قوله تعالى: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ للتَّشْبيه، وهي في محلِّ النَّصبِ، أي: لا تجهروا لهُ جهرًا مِثلَ جهرِ بعضِكم لبعضٍ، وفي ذلكَ دليلٌ على أنَّهم لم يُنْهَوا عن الجهرِ مطلقًا، حتَّى لا يسوغَ لهم أن يكلِّموهُ إلّا بالهمسِ والمخافتةِ، وإنَّما نُهوا عن جهرٍ مخصوصٍ مقيَّدٍ بصفةٍ، أعني: الجهرَ المنعوتَ بمماثلةِ ما قد اعتادوهُ منهم فيما بينَهم، وهو الخلوُّ مِن مراعاةِ أُبَّهةِ النُّبوَّةِ وجلالةِ مقدارِها[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 221.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 353، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 348.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ﴾:

جهرُكم المعروف لديكم مرفوضٌ في خطاب الرَّسولِ

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ﴾ لاميَّةٌ، أي: كجهرٍ لبعضِكم، فتفيدُ بمعونةِ السّياقِ أنَّ الجهرَ المتَّصفَ بهذهِ الصِّفةِ منهيٌّ عنهُ في مخاطبته ﷺ، فهو جهرٌ مخصوصٌ بكم، معروفٌ لديكم، ففيها ضرْبٌ مِن الإيجازِ.

علَّةُ التَّعبير بالبَعضيَّة:

عُبِّرَ بالبعضيَّةِ في قوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾؛ لِما فيها مِنَ الإبهامِ، وعدمِ تعيينِ الجاهرينَ؛ إذ ليسَ الحديثُ عن جاهرينَ معيَّنينَ.

بلاغةُ التَّعليلِ في ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾:

وجوبُ تركِ الجهرِ خشيةَ حُبوطِ العملِ

قولُهُ تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ منصوبُ الموضعِ على أنَّهُ مفعولٌ لهُ، وفي متعلِّقه وجهانِ:

أحدُهما: أن يتعلَّقَ بمعنى النَّهي، فيكون المعنى: انتهوا عمّا نُهيتُم عنهُ لحُبوطِ أعمالِكم، أي: لخشيةِ حُبوطِها على تقديرِ حذفِ المضافِ.

والثّاني: أن يتعلَّقَ بنفسِ الفعلِ، ويكون المعنى: أنَّهم نُهوا عن الفعلِ الَّذي فعلوهُ؛ لأجلِ الحُبوطِ؛ لأنَّهُ لمّا كانَ بصددِ الأداءِ إلى الحُبوطِ جُعِلَ كأنَّهُ فُعِلَ لأجله، وكأنَّهُ العلَّةُ، والسَّببُ في إيجاده على سبيلِ تشبيهِ الحالِ بالحالِ، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8][1]، فتكونُ اللّامُ المقدَّرةُ لامَ الصَّيرورةِ[2]، وفي حذف حرفِ التَّعليلِ (اللّام) تنبيهٌ على أنَّ إتيانَ المنهيِّ عنه سرعانَ ما يتسبَّبُ في حُبوطِ العمل، وهذا غاية التَّرهيبِ منه.

دلالةُ المضارعة في ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قوله ﷻ: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؛ لأنَّ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 354، والطيبي، فتوح الغيب: 14/ 445.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 308.

الحُبوطَ على تقديرِ الجهرِ مستقبلٌ بالنِّسبةِ لزمنِ هذا الخطابِ، ويُقوّي ذلكَ ﴿أَن﴾ الَّتي تُعيِّنُ المضارعَ للاستقبالِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالحُبوطِ:

تمثيلٌ لمآلِ الأعمالِ مِن القُبحِ والتَّشويه

الحُبوطُ في قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ تمثيلٌ لعدمِ الانتفاعِ بالأعمالِ الصّالحةِ؛ بسببِ ما يطرأُ عليها مِنَ الكفرِ، وهو مأخوذٌ مِن قولِهم: حبطتِ الإبلُ؛ إذا أكلتِ الخَضِرَ، فنفخَ بطونَها، واعتلَّت، ورُبَّما هلكَت[1]، وهذه استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ.

علَّةُ التَّعبيرِ بـ﴿أَعْمَٰلُكُمْ﴾ مادَّة وصيغةً:

مخالفةُ الأدبِ معَ النَّبيِّ ﷺ مُبطِلٌ للعملِ

عُبِّرَ بالعملِ دونَ الفعلِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؛ لأنَّ لفظَ الأعمالِ فيهِ إنباءٌ عن القصدِ، ولذلكَ يختصُّ بالإضافةِ للإنسانِ، فيكونُ في إيثاره هنا إيماءٌ إلى أنَّ ما عمِله الإنسانُ بقصدٍ وجهدٍ يبطلُ، ويضيعُ عليهِ؛ إنْ جهرَ الجهرَ المنهيَّ عنهُ.

وظاهرُ استعمالِ صيغةِ الجمع ﴿أَعْمَٰلُكُمْ﴾ التَّحذيرُ مِن حُبوطِ جميعِ الأعمالِ؛ لأنَّ الجمعَ المضافَ مِن صيغِ العمومِ، ولا يكونُ حُبوطُ جميعِ الأعمالِ إلّا في حالةِ الكفرِ؛ لأنَّ مِن الأعمالِ الإيمانَ، فمعنى الآيةِ: أنَّ عدمَ الاحترازِ مِن سوءِ الأدبِ معَ النَّبيِّ ﷺ بعدَ هذا النَّهي قد يُفضي بفاعله، إلى إثمٍ عظيمٍ يأتي على عظيمٍ مِن صالحاته، أو يُفضي بهِ إلى الكفرِ؛ لأنَّ عدمَ الانتهاءِ عن سوءِ الأدبِ معَ الرَّسولِ ﷺ، يُعوِّدُ النَّفسَ بالاسترسالِ فيهِ، فلا تزالُ تزدادُ منهُ، وينقصُ توقيرُ الرَّسولِ ﷺ مِنَ النَّفسِ، حتَّى يؤولَ إلى عدمِ الاكتراثِ بالتَّأدُّبِ معَهُ، وذلكَ كفرٌ[2]، و(الأعمالُ) جمعُ قِلَّةٍ، وهذه القِلَّةُ تُناسِبُ تسلُّطَ الحُبوطِ عليها؛ إذ لا قيمةَ لها حينئذٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 221.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 221.

غرضُ الإضافةِ في ﴿أَعْمَٰلُكُمْ﴾:

في الإضافة تخصيصٌ للأعمالِ

الإضافةُ في قولِه تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ على معنى اللّام، أي: أعمالٌ لكُم، وفيها معنى الاختصاص، ففيها ضرْبٌ مِن الإيجاز، معَ توكيدِ حبوطِها، وأنَّ الحبوطَ ملتصقٌ بها - لا محالةَ - كما فيها تخويفٌ وترهيبٌ، بأنَّ العمل الَّذي يُحبط هو عملك أنت لا غيرك، الَّذي عملتَه بنفسك، وتحرَّكَت فيه جوارحُك، بكدِّ الجسد وعَرَق الجبين.

بلاغةُ الجملةِ الحاليَّةِ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾:

العاقلُ يغلقُ بابَ الشَّرِّ دونَهُ

قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ حالٌ[1]، وهو تتميمٌ للمعنى، وإعلامٌ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ، ينبغي أن يُجَلَّ، ويُعظَّمَ غايةَ الإجلالِ والإعظامِ، وأنَّهُ قد يُفْعَلُ الشَّيءُ، ممّا لا يُشْعَرُ بهِ في أمرِ النَّبيِّ ﷺ، فيكونُ ذلكَ مُهلِكًا لفاعله وقائله[2]، وإشارةٌ إلى أنَّ الرِّدَّةَ تتمكَّنُ مِنَ النَّفسِ، بحيثُ لا يشعرُ الإنسانُ، فإنَّ مَنِ ارتكبَ ذنبًا لم يرتكِبْهُ في عمره؛ تراهُ نادمًا غايةَ النَّدامةِ، خائفًا غايةَ الخوفِ، فإذا ارتكبَهُ مرارًا؛ يقلُّ الخوفُ والنَّدامةُ، ويصيرُ عادةً مِن حيثُ لا يعلمُ أنَّهُ لا يتمكَّنُ، فقولُهُ: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ تأكيدٌ للمنعِ، أي: (لا تقولوا بأنَّ المرَّةَ الواحدةَ لا توجبُ رِدَّةً؛ لأنَّ الأمرَ غيرُ معلومٍ، فاحسِموا البابَ)[3].

دلالةُ الجملةِ الاسميَّةِ ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾:

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ مضمونَها، وهو عدمُ شعورِهم أمرٌ ثابتٌ، وهذا إبلاغٌ في ذمِّهم، وفي تنفيرهم وترهيبهم مِن المنهيِّ عنه.

---

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 10/ 6.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 447، وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 108.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 94.

غرضُ تقديمِ المسندِ إليهِ على المسندِ الفعليِّ في ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾:

عدمُ شعورِ الجاهرينَ بحُبوطِ عملِهم مؤكَّدٌ

قُدِّمَ المسندُ إليهِ على المسندِ الفعليِّ في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ لإفادةِ تقوّي الحكم، وبيانُ ذلكَ أنَّ في الجملةِ نِسبةَ ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾ إلى ﴿وَأَنتُمْ﴾، وفي ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾ ضميرٌ راجعٌ إلى (أنتُم)، فيفيدُ نسبةَ عدمِ الشُّعورِ إليهِم مرَّةً أخرى، فيحصلُ التَّقوّي، كأنَّهُ قيلَ: (وأنتم لا تشعرونَ، وأنتم لا تشعرونَ)، وثمَّةَ طريقٌ آخَرُ يحصلُ به التَّقوّي، وهو ترقُّبُ النَّفْسِ وتطلُّعُها إلى معرفة الخبر عند تلقّي المسند إليه، فإذا تلقَّته، وهي مشتاقةٌ إليه؛ تمكَّنَ فيها فَضْلَ تمكُّنٍ.

سرُّ حذفِ المتعلَّقِ في ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾:

حذفُ المفعولِ الظّاهرِ مِنَ السّياقِ

في قوله تعالى: ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾ إيجازٌ بحذفِ المفعولِ، لظهوره مِنَ السّياقِ، أي: (وأنتم لا تشعرونَ أنَّها مُحبَطةٌ)[1]، وفي ذلك إبلاغٌ في تقريرِ النَّفي، ويحتملُ أن يكونَ الفعلُ المتعدّي قد نُزِّلَ منزلةَ اللّازمِ، أي: وأنتم لستم مِن أهلِ الشُّعورِ، وهذا إبلاغٌ في ذمّهم، ومآلُ الوجهينِ واحدٌ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العلمُ والشُّعورُ:

دقَّةُ بطلانِ عملِ الجاهرينَ

العلمُ: هو اعتقادُ الشَّيءِ على ما هو بهِ على سبيلِ الثِّقةِ، والشُّعورُ: هو ابتداءُ العلمِ بالشَّيءِ مِن جهةِ المشاعرِ، وهي الحواسُّ؛ ولذلكَ لا يوصَفُ تعالى بأنَّهُ شاعرٌ، ولا بأنَّهُ يَشْعُرُ، وإنَّما يوصَفُ بأنَّهُ عالمٌ، ويعلمُ، وأيضًا الشُّعورُ هو إدراكُ ما دقَّ للُطْفِ الحسِّ، مأخوذٌ مِنَ الشَّعَرِ لدِقَّته[2]، وقد اختيرَ الشُّعورُ في الآيةِ؛ للتَّنبيهِ على دقَّةِ بطلانِ العملِ، وأنَّ الجاهرينَ غافلونَ عنهُ غيرُ مدركينَ لهُ بالكُلّيَّة.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 133، والخفاجي، عناية القاضي: 8/ 72.
(2) محمد داود، معجم الفروق اللغوية، ص: 372 - 374.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"